سليمان الموسى وكتابة تاريخ الأردن والثورة العربية الكبرى(*)

د/ حسين محافظة
أستاذ التاريخ بجامعة البلقاء التطبيقية
جامعة إربد، الأردن

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الأضواء على تجربة سليمان الموسى (١٩١٩-٢٠٠٨) في التأريخ للأردن والثورة العربية الكبرى (١٩١٦)، بوصفه الرائد الأول بدراستهما، وهي محاولة للكشف عن خصوصية تجربة المؤلف في مستوى اكتمالها ونضجها وتفردها.

وأوضحت هذه الدراسة أن خصوصية تجربة المؤلف تجلَّت بقدرته على الاطلاع على مصادر معلومات متنوعة عربية وأجنبية، والإفادة من كتابات معاصرين للأحداث ومن روايات شفوية ودراسات ميدانية، إضافة إلى براعته في تنظيمها وتفريعها وصياغتها بمنهجية أدبية رفيعة المستوى؛ ما جعل لكتاباته قيمة خاصة في مجالها.

الكلمات المفتاحية: سليمان الموسى، الأردن، تاريخ الثورة العربية الكبرى.

(*) **مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد (٨٠) العدد (٧) أكتوبر ٢٠٢٠.**

Suleiman Al Mousa and the Writing of the History of Jordan and the Great Arab Revolt

Dr. Hussein Ali Mahafzah

Associate Professor of History at Al Balqa Applied University

Abstract

This study aims to shed light on the experience of Suleiman Al Mousa (1919 – 2008) in the history of Jordan and the Great Arab Revolution (1916) as a pioneer in studying them. It is an attempt to reveal the privacy of the author's experience in the level of completeness, maturity and uniqueness. This study showed that the peculiarity of the author's experience was demonstrated by his ability to access various Arab and foreign documentary information sources. He makes use of contemporary writings of events and benefits from the oral accounts and field studies. In addition to his ingenuity in organizing, emptying and drafting it in a high literary methodological level, which made his writings especially valuable in its field.

Keywords: Suleiman Al Mousa, Jordan, Modern and Great Arab Revolt.

المقدمة:

يُعدُّ "الموسى" أول كاتب أردني أرَّخ للأردن والثورة العربية الكبرى (١٩١٦)، كما يُعدُّ من أبرز الكتَّاب الذين طوروا الكتابة التاريخية حولهما، وجعلهما حقلًا معرفيًّا مزدوجًا وتخصصًا دراسيًّا قائمًا بذاته، ممهدًا بذلك لنشوء الدراسات التاريخية العلمية وقيامها على أيدي بعض المؤرخين الأكاديميين المحترفين من الأردنيين بخاصة والعرب بعامة.

إن تجربة "الموسى" في الكتابة التاريخية حول الموضوعات التي تناولها وإصداره كمًّا هائلًا ونوعيًّا من المؤلفات والدراسات والمقالات ما كان لها أن تتم لولا أنه امتلك موهبة كتابية فذة، وحسًّا تاريخيًّا يرقى إلى مستوى الرؤية التاريخية والمنهجية السليمة التي عكست قدرته على إعادة صياغة تلك القضايا؛ لتخرج هذا الزخم من المؤلفات التي تعبر عن وعيه كاتبًا مثقفًا ومؤرخًا ناضجًا.

وهذه الدراسة تهدف إلى إبراز خصوصية تجربته وإيضاح معالمها الرئيسة، وسوف يتوقف البحث على أهم العوامل والمرجعيات التي أثرت في حياة المؤلف وكونت شخصيته، لتُعالج هذه المرعيات من خلال العناصر التالية:

١- نشأة سليمان الموسى وسماته الشخصية والفكرية.

٢- مؤلفاته ومنهجه في الكتابة التاريخية.

نشأة سليمان الموسى وصفاته وسماته الفكرية:

من حُسن طالع هذه الدراسة أن غالبية مؤلفات الكاتب قد نُشرت وبخاصة المتعلقة بسيرته، التي تحدث عنها بأدق تفاصيلها في كتابين، الأول عنوانه: "خطوات على الطريق..."[1]، والآخر عنوانه: "ثمانون..."[2]، وفيهما استعرض مجمل مراحل حياته وطبيعتها وأثرها على سير تطور تفكيره وطموحاته وإنجازاته، وهي تُعدُّ من أوفى كتبه وأضخمها في مجال كتابة السير والتراجم التي تخصص بها إلى جانب الحقول الدراسية الأخرى السياسية والعسكرية والأدبية والفكرية والثقافية.

ولما كانت كتب سيرته من الكتب المطولة، فإننا سوف نختصرها بما يتناسب وحجم هذه الدراسة وغايتها، على أن يُتَوَسَّع في الحديث عن مفهومه لكتابة سيرته والسير الغيرية في المحور الثالث من البحث.

- **مولده وتعليمه ومجالات العمل:**

وُلد "سليمان بن موسى بن سليمان بن خليل" عام ١٩١٩ في قرية "الرفيد" الواقعة إلى الشمال من مدينة إربد، وهو من أسرة مسيحية من الطائفة الأرثوذكسية التي تعود أصولها إلى لبنان، وقد استقرت قرية الرفيد حوالي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وعملت في زراعة أراضٍ لا تملكها، ومارست إلى جانبها العمل في بعض الحرف اليدوية البسيطة؛ لذلك عانت من الفقر الشديد، إلا أنها امتلكت الرغبة بالتعلم وحب المعرفة، كما رغبت بالتعايش مع محيطها الاجتماعي، مما وفر لها إمكانية العيش والاستقرار في بيئة اجتماعية إيجابية[3].

درس "الموسى" في كتاتيب قريته، وأتم دراسته الابتدائية في مدرسة قرية "الحصن" الواقعة إلى الجنوب الشرقي من إربد عام (١٩٣٤)، واكتفى بهذا المستوى من التحصيل لعدم قدرة أسرته على دفع تكاليف دراسته، بعد أن فقد والده (ت ١٩٢٦)، وتولي أمه مهمة الإنفاق عليه وعلى شقيقاته، وتدبير شؤون حياتهم بصعوبة بالغة، ولهذا السبب أخذ يبحث عن عمل، فقام بالتدريس مؤقتًا في المدرسة التي تخرج منها أو في مدرسة قريته، إلا أن مهنة التدريس لم تناسبه؛ فتركها وذهب إلى مدينة "حيفا" في فلسطين للعمل في أحد محالها التجارية، ثم انتقل إلى مدينة "يافا" المجاورة لها وعمل في إحدى المكتبات فيها، ما وافق ميوله في مطالعة الكتب الأدبية والتاريخية التي أقبل عليها بنهم شديد، إلى أن شعر أن بمقدوره كتابة بعض المقطوعات الشعرية والقصص القصيرة، فأخذ بإرسالها إلى الصحف والمجلات الفلسطينية والعربية التي قبلتها ونشرتها، مما شجعه على توسيع قراءاته وتطوير كتاباته، وقد لفت انتباهه الكتب التاريخية العربية والأجنبية المترجمة التي تحدثت عن حركة النهضة العربية

الحديثة وقيام الثورة العربية الكبرى بقيادة "شريف مكة" الحسين بن علي (١٨٥٣-١٩٣١)، فجمع كل ما وجده أمامه من روايات ونظمها وصاغها على شكل كتاب وضع له عنوان: "الحسين بن علي.." لإعجابه بشخصيته ومواقفه المبدئية من قضايا التحرر والاستقلال العربي، وقد حاول نشره إلا أنه لم يوفق في مسعاه، إلى أن أعاد صياغته وطباعته ونشره بعد مدة طويلة[4].

إن محاولة "الموسى" تأليف كتاب في تلك المرحلة المبكرة من عمره، وهو لم يتعدَّ سن العشرين، تبدو مثيرة ولافتة من حيث قدرته على التعبير عن طاقته الكتابية، وقد عدَّ محاولته نقطة مهمة في مسيرته الأدبية، إذ حفزته على ممارسة الكتابة للفوز بمهارتها ذاتها وتجسيدًا لحلم راوده برؤية اسمه يذكر إلى جانب أسماء كُتَّاب الصحف والمجلات التي كان يحرص على مطالعتها باستمرار رغبة منه بتطوير مواهبه الكتابية[5].

عاد "الموسى" إلى قريته لرعاية أسرته بعد أن أمضى ثلاث سنوات في يافا (١٩٣٦-١٩٣٩)، وقد تزود بحصيلة معرفية رآها كبيرة أكثر مما حصل عليه من المال، اضطره مرة أخرى للبحث عن عمل فوجده في إحدى منشآت الجيش البريطاني العاملة في الأردن، حيث عمل مراقبًا للعمال لفترة محدودة، انتقل بعدها للعمل كاتبًا في أحد معسكرات ذاك الجيش في مدينة "المفرق"، مكنه من تحصيل أجر مناسب ساعده على استئجار منزل في تلك المدينة، والعيش مع أسرته، وأن يبني أسرته الخاصة، كما أتاحت له وظيفته المجال للتعرف إلى أفراد الجيش البريطاني واكتساب لغتهم وثقافة العمل الشائعة بينهم، التي أثارت إعجابه مثل: حب العمل والدقة والإخلاص والشعور بالمسؤولية وحبهم لبلادهم والدفاع عن مصالحها وقيمها، كما حفزته آراؤهم التي كانوا يطرحونها أثناء النقاشات معهم حول قضايا المنطقة العربية لتوسيع مطالعاته

لكتب التاريخ للرد على أطروحات محاوريه السلبية تجاه العرب ودورهم في الحرب والثورة ضد الأتراك العثمانيين عند قيام الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨)[6].

ولم يغفل "الموسى" عن متابعة هوايته بالكتابة، فاستمر بكتابة المقالات وإرسالها لتنشر في الصحف والمجلات العربية، فبرز اسمه كاتبًا أدبيًّا لافتًا للانتباه، وهو ما ساعده في حصوله على وظيفة في الإذاعة الأردنية عام (١٩٥٧) حيث عُين مذيعًا ومُعِدًّا للبرامج الثقافية، إلا أن هذه الوظيفة لم تناسبه، فنقل للعمل بوظيفة كاتب في "دائرة المطبوعات والنشر"، وأصبح بعد فترة وجيزة محررًا لمجلة "رسالة الأردن" التي تصدرها الدائرة، كما عمل لاحقًا بنفس الوظيفة في وزارة الثقافة، وظل يعمل فيها إلى أن تقاعد عن العمل عام (١٩٨٣)[7].

يُعدُّ "الموسى" من صنف الأشخاص المميزين بالطبع الهادئ، والتفكير الواقعي، ودماثة الأخلاق، كما يُعدُّ من الأشخاص المتفائلين بالحياة والملتمسين لقيمها الجمالية والإنسانية، فقد عرف بحبه للناس وصداقتهم والتسامح معهم، ولم يُعرف عنه أنه رفض واقع حياته أو تمرد عليها، لكنه ذم الفقر وكرهه، كما أدان الطمع والأنانية والحسد والتملق واستغلال الفرص وغيرها من الصفات المذمومة التي كانت تظهر في سلوكيات بعض الموظفين والمثقفين الذين عمل معهم أو تعرف إليهم في نشاطاته المختلفة[8].

وإذا ما أردنا تلخيص صفاته بكلمات محدودة لقلنا إنها تتمثل بـ: الطموح والطاقة والإرادة والصبر والمثابرة، وقد عدَّ هذه الصفات المسؤولة عن نجاحه وتحقيق إنجازاته وعطائه لنفسه ولوطنه؛ إذ آمن بقاعدة تقول: "كم أعطيت لا كم أخذت"[9].

يمكن القول: إن "الموسى" أمضى حياته كلها – تقريبًا– بالعمل في الشؤون الكتابية والنشاطات الثقافية، وهو العمل الذي حلم به طوال حياته، وقد تفاعل من خلاله بقوة مع محيطه الاجتماعي بعد أن استقر في عمان عاصمة الأردن من عام (١٩٥٧) إلى أن توفي ودفن فيها عام (٢٠٠٨)[10]. وقد رآها إحدى أجمل المدن والبيئات الحضارية التي تجسدت فيها أحلامه الحياتية والثقافية[11].

- **سماته الفكرية:**

تميز "الموسى" بعمق التفكير وسعة الثقافة، وإن الناظر لمؤلفاته ودراساته وأقواله يجدها منظمة، ومرتبة، وأنها تقوم على أربعة مرتكزات هي: التفكير الواقعي البسيط، والمنهج الوصفي السردي، والانتماء العربي القومي، والحس الإنساني المرهف، وهذا عائد إلى نمط تربيته وظروف معيشته واعتزازه بالانتماء لوطنه الأردن وأمته العربية[12].

ولقد حظي "الموسى" بالتقدير والتكريم من أوساط محلية وعربية ودولية، وأطلق عليه بعض الدارسين ألقابًا فخمة مثل: "الرجل العصامي" و"مؤرخ الأردن بلا منازع"[13]، ولعل هذه الألقاب أفضل ما كُرم به، إضافة إلى كثير من الشهادات والجوائز المادية والمعنوية[14].

مؤلفاته ومنهجه في الكتابة التاريخية:

ظهرت إرهاصات التأليف التاريخي عند "الموسى" مترافقة مع ميوله الأدبية المبكرة، وتمثلت بالرغبة التي عبرت عن نفسها مرارًا وتكرارًا فيما كان يكتبه في مقالاته وخواطره الأدبية، لكن بداية تجربته الحقيقية بالتأليف لم تتبلور إلا بعد أن ألَّف كتابه الأول "تاريخ الأردن" عام ١٩٥٧[15]، إذ تحولت تلك الرغبة إلى ما يشبه الفيض العارم الذي لا يُقاوَم، فتتابعت مؤلفاته بخط سير

متصل، وكأنها تصدر عن خطة معدة مسبقًا، وقد حان أوان تنفيذها بكل قوة وحزم، لا يعرف التهاون أو الملل في البحث والتقصي والكتابة والطباعة والنشر[16].

وتجدر الإشارة إلى أن عدد مؤلفاته بلغت أكثر من أربعين كتابًا، إضافة إلى عشرات الدراسات والمقالات، وقد تركزت كلها على تاريخ الأردن الحديث والمعاصر، والثورة العربية الكبرى[17]، وليس بالإمكان هنا ذكر مؤلفاته أو استعراض مضامينها، لكن يمكن إيراد بعض الأمثلة واتخاذها نماذج دالة على غيرها مستمدة من قائمة المؤلفات التي فضلها المؤلف نفسه[18]، كما يمكن تصنيفها بحسب موضوعاتها، إلى دراسات في التاريخ السياسي العسكري، وأخرى في السير والتراجم، وثالثة في التاريخ الثقافي.

أولًا: التاريخ السياسي والعسكري:

ضمت هذه المجموعة غالبية مؤلفاته، ومن أشهرها كتابه: "تاريخ الأردن في القرن العشرين"[19]، وهو أول كتبه وأشملها، وهو الذي منح مؤلفه شهرته مؤرخًا، وقد انطوى على أكثر من جهد المؤرخ المدقق في ضبط تفاصيل الأحداث التي شهدها الأردن منذ ما قبل قيام الدولة فيه عام (١٩٢١) إلى سنة تأليفه عام (١٩٥٧)، وتبدو غاية الكتاب القصوى الحديث عن الدولة والوقوف على حقيقة دورها ووظيفتها في حياة المجتمع، إذ عدَّها المسؤولة عن كل تطور شهدته البلاد في تاريخها الحديث والمعاصر[20].

أما كتابه الثاني فجاء بعنوان: "لورنس والعرب: وجهة نظر عربية"[21]، وهو الذي منح المؤلف شهرته العالمية، إذ تُرجم إلى أكثر من لغة أجنبية منها الإنجليزية والفرنسية والألمانية واليابانية[22]، وقامت فكرته على إيضاح حقيقة الدور الذي لعبه "لورنس" في حروب الثورة العربية الكبرى، ودحض آراءه التي

نسبت لنفسه نجاح جيوش الثورة بحروبها، وقد عدَّها المؤلف مبالغات لا تسندها الحقائق، وأنها تنطوي على مغالطة كبرى حين تنسب نجاح حروب طويلة إلى جهد شخص واحد من أمثال "لورنس" الذي لا يعدو كونه ضابط ارتباط بين قيادة قوات الثورة العربية والجيش البريطاني، كما حاول نفي الوهم الأسطوري الذي ألصق بشخصية المذكور، وأنها تتناقض مع الحقائق التي وردت في وثائق الحرب البريطانية والمصادر والمراجع العربية[23].

أما كتابه الثالث، فهو المعنون بـ: "الحركة العربية: سيرة المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة..."[24]، وهو من أضخم كتبه وأشملها، إذ قدم فيه تاريخًا شاملًا للحركة القومية العربية منذ بواكير اليقظة الحديثة، وقد أفرغ فيه خلاصة آرائه وقدراته في الجمع والتأليف والبحث في الوثائق العربية والأجنبية، فجاء الكتاب أشبه ما يكون بموسوعة شاملة للحركة العربية في مختلف شؤونها التكوينية وظروفها وأبعادها[25].

أما أشهر كتبه في مجال التاريخ العسكري فهو المعنون بـ: "أيام لا تنسى، الأردن في حرب ١٩٤٨"[26]، وجاء بدافع توضيح حقائق حرب عام ١٩٤٨، ودور الجيش العربي الأردني في الدفاع عن القدس وفلسطين[27].

والكتاب يعدُّ محاولة لتقييم الحرب تقييمًا موضوعيًّا، إذ لم تعرف إلا قلة من المفكرين والدارسين كيف تقيم الحرب ووقوع الهزيمة المشهورة بـ: "الكارثة"[28]، وما أحدثته من اضطرابات سياسية وفكرية وأخلاقية دفعت بكل طرف عربي إلى إلقاء تهمة الهزيمة على الطرف الآخر والتهرب من تحمل المسؤولية[29]، فنهض المؤلف بمهمة تدوين وقائع الحرب بالاستناد إلى طيف واسع من المصادر الوثائقية بخاصة[30]، وتتبع الأحداث بتسلسلها الزمني الدقيق وكأنه أراد تسجيلها لحظة بلحظة لتصوير ما حدث ليبدو مشهدًا مرئيًّا

معززًا بالأرقام والبيانات والصور والخرائط والأقوال وشهادات الشهود، وأطرها بأسلوبه الأدائي المميز لرسم مشهد المعارك وما قدمه الجيش العربي الأردني من تضحيات، وما حققه من انتصارات بطولية في مواجهة الجيش الصهيوني[31].

ثانيًا: تاريخ السير والتراجم:

وهي تعدُّ من أقدم حقول الكتابة التاريخية، وتُصنف أحيانًا جزءًا من التاريخ السياسي، وأحيانًا أخرى ينظر إليها على أنها سياق معرفي يتجاوز التاريخ السياسي بهدف التأريخ للمجتمع بكافة فعالياته، ذلك أن دراسة حياة الشخصيات المُترجم لها تعني دراسة لبيئتهم الاجتماعية والثقافية، وهي بالعادة تعنى بحياة المشاهير من الساسة والنابهين والأدباء والمثقفين[32].

ويمكن ذكر أمثلة من كتب المؤلف بهذا المجال مثل: "أعلام من الأردن"[33]، و"وجوه وملامح"[34]، وسيرة المؤلف نفسه، التي منحها جُلَّ عنايته، إذ رآها "قصة جديرة أن تُروى لتعطي أملًا لحملة الأقلام – قصد الكتَاب–"[35]، فتناولها بأدق تفاصيلها، لتبدو تاريخًا شاملًا لحياته وحياة المجتمع الذي عاش فيه، كما احتفظت به ذاكرته واستردها بوضوح تام معززة بعناصر الإثارة والتشويق والمتعة[36].

ثالثًا: التاريخ الثقافي:

هي مجموعة من الكتب المتنوعة في موضوعاتها التي ألَّفها الكاتب أو ترجمها، وتبدو غايتها تعليمية إرشادية، وأن هدفها إيضاح معالم الأردن التاريخية والحضارية، وتشكيل هويته الفكرية والثقافية[37].

ومن أبرزها: "آثار الأردن"[38] و"رحلات في الأردن وفلسطين"[39] و"نوافذ غربية"[40]، و"الأرض والإنسان"[41] و"مشاهد وذكريات"[42]، وغيرها.

تناول منهج الموسى في الكتابة التاريخية يحتاج من البداية إلى الإجابة عن سؤال هذه الدراسة ومقصدها وهو: ما مدى استطاعة الموسى التعبير عن نفسه مؤرخًا ملتزمًا بالبحث عن الحقيقة بدقة ونزاهة وموضوعية؟

مثل: متى وكيف ولماذا تحول الموسى الكاتب الأدبي إلى كاتب للتاريخ؟ وما مدى استطاعته التعبير عن نفسه مؤرخًا ملتزمًا بالبحث عن الحقيقة بدقة ونزاهة وموضوعية؟

ليس سهلًا أو هينًا الإجابة عن كل هذه الأسئلة أو بعضها إلا بالتفحص الدقيق لمؤلفات الكاتب وأقواله، التي قد نجدها هنا أو هناك في مقدمات مؤلفاته أو بين ثناياها؛ لأنه لم يَعْنِ بالحديث عن مفاهيمه النظرية، ولم ينحُ منحًى فلسفيًّا في مفهومه للتاريخ، وإنما استمده من مفاهيم أدبية بسيطة، إذ عدَّه قصصًا جديرة بالرواية[43]، وهو برأيه عبارة عن كتابة محددة تعرض فيها الأحداث كما وقعت في دولة أو منطقة معينة بحسب تسلسلها الزمني، وما على المؤرخ أو الكاتب إلا تسجيلها وتدوينها كما تعرف إليها من مصادرها ومراجعها، وقد شبه عمله بعمل القاضي الذي يسمع الأقوال وينظر في تناسقها وتماسكها، ثم ينظر في صحتها دون أن يطلق حكمًا نهائيًّا عليها، وما على المؤرخ إلا أن يسلك هذا الطريق لتوضيح ما حدث بصورة أقرب ما تكون إلى الحقيقة[44].

أما دوافعه لكتابة التاريخ وزمنيتها؛ فقد جاءت نابعة من حيوية متأصلة في طموح المؤلف وظروفه الوظيفية التي كانت العامل الحاسم في تفجير طاقته الكتابية في مواجهة تحدي طرحته عليه صدفة عام ١٩٥٧ حينما أقدم على تأليف كتابه "تاريخ الأردن..."، وقد وصف تلك اللحظة بأنها أشبه ما تكون بالمغامرة[45]، وبعد اجتيازها بنجاح اتخذها نقطة انطلاق لمسيرته الطويلة في

الكتابة التاريخية، حاسمًا خياره النهائي بأن يكون مؤرخًا أو كاتبًا متخصصًا بالتاريخ لا كاتبًا مشتتًا في ميادين الأدب وفنونه، وربما رأى التاريخ الميداني المعرفي الأرحب مجالًا والأجدى نفعًا فاتخذه "حرفة" بحسب تعبيره، وهو ما تاقت له نفسه وموهبته، فنهض بمهمته بهمة وقوة وصبر ونشاط منقطع النظير[46].

أما بخصوص الحديث عن موضوعية المؤلف وحيادته في رؤية الأحداث وتفسيرها، فإنه حاول قدر إمكانه تجنب الأحكام الذاتية المستبقة باعتماده منهجًا معتدلًا يمكنه من الوقوف موقفًا وسطًا بين تعدد الآراء وتضاربها في معالجته القضايا السياسية التي تقبل بذاتها التعدد في الآراء والتنوع في التفسير، إلا أنه كان في غالب الأحيان منحازًا لصالح المواقف الرسمية للدولة وسياسات حكوماتها في كافة القضايا والمشكلات التي واجهتها داخليًّا وخارجيًّا[47].

وفي المقابل، فإن المؤلف نفى أن يكون كاتبًا رسميًّا للدولة أو نظام الحكم فيها أو تلقى ما يكفي من دعمها ورعايتها[48]، وإن ما كتبه جاء بمحض إرادته واختياره الطوعي، ولم تفرضه عليه أية جهة حكومية رسمية سرًّا أو علانية، لكنه يعترف بأنه راعى فيما يكتب ويؤلف مصلحة بلاده انطلاقًا من شعوره بالمسؤولية تجاهها، معبرًا عن ذلك بكلمات عاطفية: "قلبي دائمًا على بلدي الأردن"[49].

إن مطلب الموضوعية في كتابة التاريخ بعامة والتاريخ العربي الحديث والمعاصر بخاصة، يبدو بغاية الصعوبة؛ نظرًا لضيق هامش الحرية المتاحة أمام المؤرخ والمخاطر التي قد تترتب على قوله الحقيقة بالنسبة لأحداث وقضايا ليست بعيدة زمنيًّا ولا تزال تأثيراتها جارية[50]، ويبدو أن المؤلف كان

على تنبُّه كبير لهذه المخاطر، وقد تحدث عن صعوبات واجهته أثناء تأليف بعض كتبه، وما أثارته من ردود أفعال منعته أحيانًا من قول كل ما يعرفه، وأحيانًا أخرى اضطر إلى حذف بعض العبارات أو إعادة صياغتها ليتيسر له نشرها، وهو ما أسماه "مزالق" كتابة التاريخ المعاصر[51]. من هنا تحدث عن ضرورة أن يكون المؤرخ متحليًا دائمًا بالحذر واليقظة، وفي الوقت نفسه عليه أن يتحلى بالمرونة الكافية للقيام بمهمته على أفضل وجه ممكن[52].

- منهجه في الكتابة التاريخية:

وقد اتبع "الموسى" منهجًا حرًّا بالتأليف يقوم أساسًا على المحاكاة والتقليد؛ لأنه لم يكن لديه إلمام بالمنهجية العلمية الحديثة لكتابة التاريخ[53]، إلا أنه استطاع تطوير منهجيته بالتأليف بطول ممارسة الكتابة واطلاعه الواسع على أحدث ما يكتب بمناهج الكتابة التاريخية وأساليبها بحيث أصبح بمقدوره تعلم مبادئها والتقيد النسبي بشروطها[54].

ويمكن تلخيص القواعد التي اعتمدها في بناء هياكل مؤلفاته وتنظيمها بثلاثة عناصر هي:

١- التعرف إلى مصادر المعلومات وتحليلها والاستفادة من مضامينها، وبخاصة المصادر الوثائقية والدراسات الميدانية والمقابلات الشخصية[55].

٢- استنباط الدليل من الشواهد الكتابية واستخلاصه من المشاهد الحية في مواقع الأحداث وبيئاتها وآثارها[56].

٣- الأخذ بمنهجية الكتابة المتكاملة في دراسة الظاهرة المدروسة من مختلف جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والثقافية[57].

وقد جاء أسلوبه في الكتابة عالي المستوى بسبب موهبته الأدبية، لذا اتسمت كتاباته بالدقة والوضوح والشفافية، وخلت من التعقيد والعبارات الطويلة

المتداخلة، وهو ما منح مؤلفاته قدْرًا عاليًا من التنسيق والتوازن، وهذا دليل على قدرته في رؤية الأشياء المتناثرة وجمعها وإعادة صياغتها بسهولة بحيث تبدو منسجمة متكاملة شكلًا ومضمونًا[58].

وبناءً على ما سبق، يمكن القول: إن المؤلف كان واعيًا بذاته وبالعملية التي تطوع للقيام بها من تلقاء نفسه للتأريخ لوطنه وأمته، وأنه رآها مهمة جليلة عظيمة، وإنه استوفى غالبية شروطها، وحقق ما استطاع من مطالبها بكل إخلاص وأمانة وتواضُع.

الخاتمة:

بعد هذا الاستعراض السريع لأبرز ملامح تجربة "سليمان الموسى" مؤرخًا للأردن والثورة العربية الكبرى، فإن هذه الدراسة خلصت إلى جملة من النتائج، لعل أهمها ما يلي:

١- إن "الموسى" الذي يعدُّ ألمع المؤرخين الأردنيين في عصره هو ابن حقيقي لبيئته، وهو نتاج تجربته وخبرته في الحياة، لكنه كان واعيًا منفتح الذهن ذا شخصية متبلورة.

٢- ارتبطت دوافعه لكتابة التاريخ بالدوافع الذاتية المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بدوافعه الأدبية، وبشكل يوحي أن أحدهما أصل للآخر، غير أن الدوافع الشخصية العامة في أعماله جاءت استجابة لظروف عصره.

٣- إن تحول "الموسى" مؤرخًا يتجلى برسمه خطة لعمله المستقبلي بوضوح تام، وسار عليه، وأنجز جُلَّ ما فكر فيه في كتابة تاريخ شامل متكامل للموضوعات التي تخصص بها.

٤- إن التاريخ في فهم "الموسى" لا يعدو في كونه قراءة معمقة للحوادث بكافة أبعادها وفي سياقها الزمني، وإن استجلاء الحقيقة غايته بحسب المعطيات

والمصادر المتوفرة وما تسمح به ظروف المؤرخ وبيئته الاجتماعية والسياسية.

٥- إن محاولة "الموسى" تنويع كتاباته في الموضوعات التي تخصص فيها، تعد محاولة لتحقيب التاريخ الأردني بخاصة، والتاريخ العربي الحديث والمعاصر بعامته؛ لتسهم في صياغة رؤية نقدية لفهم صيرورته التاريخية.

٦- إن "الموسى" الذي ميز أعماله بصفات البحث الأصيل وبما فيها من دقة توثيق والسعي ما أمكن إلى تشخيص العلل وفهم الأسباب للأحداث والأزمات السياسية عبرت عن مؤرخ عميق النظرة موسوعي الفكر لموضوعات أولاها جلَّ اهتمامه وعنايته؛ ولذلك لا يزال يعدُّ طليعة المؤرخين الأردنيين ورائدهم.

الهوامش

(1) الموسى، سليمان: خطوات على الطريق، سيرة قلم: تجربة كاتب، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٣، سيشار إليه لاحقًا: خطوات.

(2) الموسى، سليمان: ثمانون: رحلة الأيام والأعوام، ط ٢، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ٢٠٠٨، سيشار إليه لاحقًا: ثمانون.

(3) الموسى: خطوات، ص ١٠-١٤، ٥٤، ثمانون، ص ٨.

(4) الموسى: خطوات، ص ١٤-١٩، ٢١٨، ثمانون، ص ٨-١٠، ١٠٠.

(5) الموسى: خطوات، ص ١٦-١٨، ٥٤-٦٥.

(6) الموسى: خطوات، ص ١٩-٢٥، ٥٥، ثمانون، ص ٦٧-٦٨.

(7) الموسى: خطوات، ص ٢٢-٢٥، ٢٨-٣١، ٤٧، ثمانون، ص ٦٨-٧٠، ٨٩، ٩٧، ٩٨، ١٦٧-١٦٨، ١٧٠.

(8) الموسى: خطوات، ص ٣٦، ٤٨، ٥٠، ثمانون، ص ٨، ١٦٢-١٦٣.

(9) الموسى: خطوات، ص ٣٦، ص ٤١.

(10) ينظر: مقدمة كتاب المؤلف: تاريخ الأردن في القرن العشرين، ط ٣، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ٢٠١٧، ص ١٩.

(11) الموسى: خطوات، ص ٥٠، ٢٢٦، ٣٤٠، ثمانون، ص ٩٧، ١٠٠.

(12) الموسى: خطوات، ص ٥٢.

(13) الموسى: خطوات، ص ٥١-٥٢.

(14) الموسى: خطوات، ص ٥٢، ثمانون، ص ١٧٢، ١٨٩.

(15) الموسى: خطوات، ص ٦٠، ثمانون، ص ٩٦.

(16) الموسى: خطوات، ص ٥٩-٢٣٠، ثمانون، ص ١٧٧-١٧٨.

(17) الموسى: خطوات، ص ٥٩، ٢٣٠، ٢٤٢، ثمانون، ص ١٧٧-١٧٨.

(18) الموسى: ثمانون، ص ١٩٢.

(19) منيب الماضي وسليمان الموسى: تاريخ الأردن في القرن العشرين، ١٩٠٠-١٩٥٩، الجزء الأول، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، عمان، ط ٣، ٢٠١٧.

(20) الموسى: خطوات، ص ٢٨٥-٢٩٢.

(21) الموسى: خطوات، ص ٣٣.

(22) الموسى: خطوات، ص ٤٠، ١٠٤، ٢٩٤، ثمانون، ص ١٣٧، ١٤٤.

(23) الموسى: خطوات، ص ٣٣، ٨٨-٨٩، ثمانون، ص ١١٧، ١٤٤.

(24) الموسى: الحركة العربية، سيرة المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة، ١٩٠٨-١٩٢٤، الأعمال الكاملة، ط ٤، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٣، سيشار إليه لاحقًا: الموسى، الحركة.

(25) الموسى: خطوات، ص ١٤٩.

(26) الموسى، خطوات، ص ١٧٤.

(27) الموسى: خطوات، ص ٣١٢-٣١٦.

(28) ينظر: قسطنطين زريق: الأعمال الكاملة، المجلد الأول، كتاب معنى النكبة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، ص ١١، سيشار إليه لاحقًا: زريق: الأعمال الكاملة.

(29) ينظر: حركة القوميين العرب: نشأتها وتطورها عبر وثائقها (١٩٥١-١٩٦٨)، الكتاب الأول، الجزء الأول، تحرير هاني الهندي وعبد الإله النصراوي، مؤسسة الأبحاث العربية، ط ١، بيروت، ٢٠٠١، ص ٥٤ وما بعدها، سيشار إليه لاحقًا: الهندي: حركة.

(30) الموسى: خطوات، ص ١٧٧-١٨٣.

(31) الموسى: خطوات، ص ٣٠١، ٣١٢-٣١٦.

(32) يفضل العودة إلى كتاب: "بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوري، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٣ وما بعدها، وكتاب: فكرة التاريخ عند العرب: من الكتاب إلى المقدمة، طريف الخالدي، ترجمة: حسني زينه، دار النهار للنشر، ط ١، بيروت، ١٩٩٧، ص ٣٩ وما بعدها.

(33) الموسى: خطوات، ص ١٨٣.

(34) الموسى: وجوه وملامح: صور شخصية لبعض رجال السياسة والعلم، منشورات وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط ١، ١٩٨٠، سيشار إليه لاحقًا: الموسى، وجوه.

(35) الموسى: خطوات، ص ٩.

(36) الموسى، خطوات، ص ١٠.

(37) الموسى: خطوات، ص ٨٠، ٨٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٠.

(38) الموسى: خطوات، ص ٨٥.

(39) الموسى: خطوات، ص ٢١٨.

(40) الموسى: نوافذ غربية (كتب وكتاب وقضايا عربية)، وزارة الثقافة والشباب والآثار، عمان، الأردن، ط ١، ١٩٨٤، سيشار إليه لاحقًا: الموسى، نوافذ.

(41) الموسى: خطوات، ص ٢١٣.

(42) الموسى: خطوات، ص ١٩٨، ثمانون، ص١٦٥.

(43) الموسى: خطوات، ص ٩-١١.

(44) الموسى: خطوات، ص ٣٤٠.

(45) الموسى: خطوات، ص ٣١، ٣٣، ٥٣، ٦٠، ثمانون، ص ١٩٢.

(46) الموسى: خطوات، ص ٥٣، ٦٠، ثمانون، ص ٧، ١٨١، ١٩٢.

(47) الموسى: خطوات، ص ٣٣٧، ٢٤٢-٢٤٤، وللمزيد يفضل الرجوع إلى: غي تويليبه وجان تولار: مهنة المؤرخ، تعريب: عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠١.

(48) الموسى: خطوات، ص ٣٣٥-٣٣٦.

(49) الموسى: خطوات، ص ٥٢.

(50) الموسى: ثمانون، ص ١٣٥، وللمزيد يفضل الرجوع إلى: عبد الكريم التميمي "الموضوعية والذاتية في الكتابة التاريخية المعاصرة"، مجلة عالم الفكر، العدد ٤، المجلد ٢٩، إأبريل-يونيو/ ٢٠٠١، ص ٧١-٨٥، وهاري إلمربانز، تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة: محمد عبد الرحمن برج، جـ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧، ص ٥، ٤٨، ٨٥، ٢٤٥.

(51) الموسى: خطوات، ص ٥٧، ٧٢، ٣٤٠.

(52) الموسى: خطوات، ص ١٧٠، ١٧٢.

(53) الموسى: خطوات، ص ٣٨، ٣٣٦.

(54) حول مبادئ الكتابة التاريخية يفضل الرجوع إلى كتاب: النقد التاريخي، أنجلو سينوبوس وزملاؤه، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، ط ٣، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٧، ص ٤٣-٤٩.

(55) الموسى: خطوات، ص ٩٢-٩٣.

(56) الموسى: خطوات، ص ٢٨٥-٢٩١.

(57) الموسى: خطوات، ص ٢٨٥-٢٩١.

(58) الموسى: خطوات، ص ٥٢، ٣٣٦، ثمانون، ص ١٧٩.